بنت الفجر

مثال الحب البنوي والشجاعة وشرف النفس (تابع)

٨ً : بين اعمدة قصر الحمراء : كلمة الوداع

امرت الملكة ايزابيل رئيس حجابهـا ان يدخل بنت الفجر الى غرفة خاصة تستقبل فيها والدها، وان يبالغ في اكرامهما، هما واعوانهما، ريثما تنتهي مذاكرة المجلس فتقابلهم هي والملك . فاثنت بنت الفجر على عاطفتها وكرمها . وخرجت مسرورةً ، يتقدمها رئيس الحجاب . واذ كانت تمشي بين اعمدة الاروقة الملكية المصفوفة امام قاعات الاميرات التفتت فرأت القائد قد خرج وهو يتبعها، فوقفت، فتقدم اليها واحنى راسه للوداع . فبادرته بالكلام قائلةً : « جزاك الله كل خير، ايها الامير الكريم ! . . . لم يكن بالكثير عليك تقليد الملكة اياك مقام الامارة فانك امير عظيم، في عزة نفسك، وشرف اخلاقك، ولا سيما في مروءتك وشعورك بواجب العدل والانسانية . اعز الله الامراء الذين على مثالك ! . . . » فقال لها : « اعز الله الاميرة بنت الفجر، المثال العجيب للشرف والشجاعة والحب البنوي ! . . . اني اودعك يا سيدتي، وقلبي ممتلئ اعجاباً بك واحتراماً لاسمك ! . . . » فاجابته : « ادام الله نبض هذا القلب الشريف، ولا فض هذا

الفم الكريم ! » فانحنى امامها اجلالاً وقال : « الوداع يا بنت الفجر ! » . . .

هبطت على قلبها كلمة الوداع، هبوطها من فم اخ شفوق، فاحست باعمدة الرخام الجبارية تهتز مع قلبها تعطفاً، وتسيل وفؤادها رقةً وحناناً . فاجابته بصوت منكسر رافقته لؤلؤتان سقطتا من زوايا مقلتيها : « الوداع، . . . . يا . . . اخي ! » . . .

لما كانت افكار الامير الفتى ومقاصده شريفة خالصة من كل غرض، امتزجت بحكم الطبع بافكار بنت الفجر امتزاجاً لا يدركه سوى من كان الشرف والفضيلة غريزة راسخة فيه، لا يميلها هوى ولا يشينها وهم . لذلك لم تتمالك بنت الفجر ان قالت له « يا اخي »

فشعر حينئذ بدافع قوي الى البقاء في القصر حتى ياتي الراشد واعوانه، لعله يفيدهم بشيء فيز يد بذلك رضا بنت الفجر وسرورها فقال لها : « اتودين ان ابقى لمقابلة والدك ؟ » اجابت : « هذه هي بغيتي، ولم اتجاسر على بيانهـا » قال : « ادخلي القاعة المهيأة لك واستريحي، فانا راجع الساعة » وسلم وانصرف

* * *

٩ً : في قلعة غرناطة

بينما بنت الفجر في قصر الحمراء تحمد الله تعالى على آلائه وتتهيأ

للقاء الوالد العزيز ، كان هو واعوانه في ظلمات سجن اشبه بالقبر لا يعلمون مصيرهم ، وقد اضحوا من شدة العذاب واليأس اشباحاً ترعد فرائص الناظرين . فدخل عليهم آمر القلعة وفي يده ورقة . فرفع الراشد نظره وقال : « هل من فرج قريب » فاجاب الآمر : « يسوءني ان اخبركم ايها السادة ان الجلالة الملكية اصدرت في الامس الحكم باعدامكم وها اننا منفذوه آسفين » ثم تلا نص الحكم واردف قائلاً : « اذا كان لكم وصية ، او حاجة فاعرضوها ، فاننا نسعفكم حسب الاصول المرعية ، بمهلةٍ مدتها ساعة من الزمان » . فتلقوا صاعقة الحكم صامتين غير هيابين . . . ولعل بعضهم من كان يؤثر الموت على تلك الحياة المرة . . . ثم ان الراشد صرخ قائلاً : « امرنا لله ، فكل ما عليها فانٍ ! . . . اما انا ففي نفسي حسرةٌ اليمة لا احتمل ان تنزل معي الى القبر . . . منيتي ان اعرف ما جرى بعائلتي ولا سيما بابنتي العزيزة بنت الفجر ! . . . » قال الآمر : « لم يبلغنا سوى ان عائلتك هربت الى حيث لا ندري » فتأوه الراشد وقال : « ربنا رحيم كريم ! »

فطرقت سماعهم في الحال ضجة مقتربة ، واذا باحد ضباط القلعة حضر يقول للآمر : « ها هوذا رسول جلالة الملكة يريد مواجهتك ومشافهة الامير الراشد » . فبهت الآمر واسرع فادخل

الرسول . فنظر الراشد اليه واذا انوار البشر تتدفق من محياه . فبادره الرسول بالتحية قائلاً : « السلام على حضرة الامير الراشد ، احمله اليه من قبل جلالة الملك والملكة ، وابشره هو ورفاقه بالنجاة من الموت والسجن ! » فهتف الراشد واعوانه : « الحمد لله ، وعلى جلالة الملك والملكة السلام ! » واردف الرسول وقال : « ان جلالة الملكة تدعوكم الى قصر الحمراء حيث تنتظركم السيدة بنت الفجر آمنةً مسرورة » . . . وهنا خانت الرقة الابوية رجولة البطل الصنديد ، فلم يقو على كتم لواعج قلبه . وعندما سقطت قيوده وانحنى اليه الرسول يصافحه كانت الدموع تتناثر من خلال لحيته البيضاء على ايديهما

(الباقي للآتي)

لمعات افكار

لا ينجح من كان كثير التردد (نابوليون)

عند عقد الزواج تنتهي الرواية ويبدأ التاريخ (روشبرين)

لا تنفق مالاً قبل كسبه (توماس جفرسن)

ان نكران الجميل في نظري ، اشنع عيب يوصم به قلب الانسان (نابوليون)